بسم الله الرحمن الرحيم

بست ومكانتها التاريخية والسياسية والاستراتيجية والعلمية والأدبية

١ – مكانة بست بين اللغة والتاريخ :

بست فى اللغة[١] :

بست بضم الأول وسكون الثانى تأتى بمعنى روضة من رياض الورد والزهر والريحان ، وبمعنى مكان من الأماكن المعطرة التى تعبق منه رائحة الفواكه والأزاهير والرياحين ، كما تأتى بمعنى التل والمكان المرتفع الذى لا يصل فى ارتفاعه إلى الجبل ، وتأتى أيضا بمعنى الأرض الوعرة الصعبة الشديدة ، أو بمعنى الأرض العسيرة المخيفة الهائلة المرعبة ، وهذه المعانى المختلفة تصدق على مدينة بست فى مراحل تاريخها المختلفة لتناولها إياها فى مفهومها العام ، فقد كانت مكانا مقدسا ، وشاطئا مطهرا تقدم فيه النذور ، وتذبح فيه الذبائح تقربا إلى الآلهة الآرية فى العصور القديمة قبل الإسلام كما سيأتى ، ثم كانت فى العصور الإسلامية روضة من رياض الورد والزهر والريحان ، وحديقة من الحدائق الوراقة ، وجنة معطرة من الجنات الناضرة ، وبستانا من بساتين النخيل والعنب على طرف من صحراء لكان[٢] وعلى حافة قرية منها ، يحتضنها النهر فيتعانق شاطئ النهر وطرف الصحراء فى حنان ولطف ، وعلى مرأى ومسمع من قصر بست السلطانى[٣] :

---

(١) بست لغة : روضة الورد . مكان تعبق منه رائحة الفواكه . تل . أرض وعرة . محور الرحى . قمح مشوى . راجع المعجم الذهبى للدكتور محمد ألتونجى – طبعة بيروت .

(٢) لكان : اسم صحراء واسعة فسيحة تمتد من وراء مدينة بست إلى آفاق بعيدة .

(٣) ديوان العنصرى البلخى – طبعة طهران . ولشكرگاه للأستاذ أحمد على كهزاد ص : ٥١ طبعة كابل . وراجع أيضا : أفغانستان بعد الإسلام للأستاذ عبد الحى حبيبى صفحات مختلفة – طبعة كابل سنة ١٣٤٥ هـ ش = ١٩٦٦ م .

بفر[1] قصر توشد خوب همچو عقد بدر
هواء بست ولب هلمند ودشت لكان
بنور قصرك وجماله طاب ولطف كالعقد على الباب
هواء بست وشاطئ هلمند وصحراء لكان

وكانت بست بحدائقها وروضاتها وجناتها وبساتينها المعطرة وقصورها السلطانية أحد المنتزهات الملكية السلطانية الرائعة فى الجنوب الأفغانى ، كما كانت مدينة بلخ الجميلة كذلك فى الشمال الأفغانى[2] :

گهى به بست درين بوستان طبع فروز[3]
گهى به بلخ درين باغهاى روح أفزاى[4]
حينا إلى بست .. فى هذه الحديقة المضيئة للمزاج
وحينا إلى بلخ .. فى هذه الروضات مفرحة الروح

ومدينة بست التى كانت مكانا مقدسا تقدم فيه النذور وتذبح فيه الذبائح بأسماء الآلهة الآرية ، والتى كانت كذلك روضة معطرة فى العصور الإسلامية المختلفة وهى بالإضافة إلى ذلك تشبه التلال والمرتفعات التى تقع على طرف من الصحراء الهائلة المرعبة حيث إن صحراء لكان الفسيحة الواسعة تنتهى بمدينة بست تقريبا ، وبهذا فقد اجتمعت فيها هذه المعانى المختلفة فى مراحل تاريخها المختلفة .

بست فى التاريخ القديم والحديث

مدينة بست فى العصر الآرى :

لقد عرفنا فيما مضى من السطور المعدودات معنى كلمة بست بإيجاز ،

---

(١) فر : بفتح الأول : نور . شأن . مكانة . حسن . جمال . ريش . سابقة بمعنى قبل .

(٢) ديوان الفرخى السيستانى : البيت من قصيدة طويلة أنشدها الشاعر امتنانا وشكرانا على صحة الأمير يوسف بن ناصر الدين أحد الأمراء والقواد الغزنويين والشقيق الأصغر للسلطان محمود الغزنوى ، وقد حبسه السلطان مسعود الغزنوى بعد وفاة أبيه السلطان محمود الغزنوى راجع ص : ٣٨٩ – ٣٩٠ من ديوان الفرخى و ص : ٣٠ من مقدمة الديوان . ولشكركاه ص : ٣٥ .

(٣) فروز : بضم الأول والثانى وسكون الثالث : ضياء . نور .

(٤) فزا : مكثر . مزيد . وتأتى مركبة . وأفزاى : من أزودن ، وأفزاييدن .

وقد ثبت أنها تجمع بين المعانى المختلفة من الناحية اللغوية ، وفيما يأتى من السطور نحاول معرفة بانى هذه المدينة التاريخية ومنشئها والعصر الذى تم فيه إنشاؤها ، ومن المعروف أن بست من المدن الأفغانية القديمة التى أنشئت فى العصر الآرى القديم ، ومن الظاهر الجلى أن بست لعبت دورها الحضارى منذ العصور القديمة ، وكانت من أهم المراكز الحضارية والأدبية فى أفغانستان القديمة فمن يا ترى قام ببناء هذه المدينة التاريخية القديمة ؟

الأمير بستوار ومدينة بست[1] :

قام الأمير البلخى بستوار بإنشاء مدينة بست فى هذا المكان الذى كان يسمى بستوايرى على الساحل الشرقى الشمالى من نهر هلمند الشهير ، أقول : إن اجتماع بست المدينة ، وبستوايرى المكان ، وبستوار الأمير البلخى الآرى الذى قام ببناء هذه المدينة التاريخية ، فى هذا المكان المقدس ، أقول : إن اجتماع هذه الكلمات الثلاث التى تتألف من مادة (ب . س . ت) يدعو إلى الدهشة والتفكير والتأمل العميق لأنه يعتبر من المصادفات التاريخية العجيبة فى تلك العصور الأسطورية العريقة ... ! عرفنا على كل حال بأن بست اسم لمدينة أفغانية قديمة .. تم بناؤها فى العصر الآرى الذى يعتبر أسطوريا ، فمن هو بستوار هذا يا ترى ؟

الأمير بستوار البلخى[2] :

الأمير بستوار هذا الذى قام ببناء مدينة بست التاريخية فى بستوايرى هو ابن الأمير زرير شقيق الملك الآرى ويشتاسپه بن لهراسپه ، ولهراسپه هذا كان

---

(١) راجع : تاريخ أفغانستان بعد أزإسلام : ٦٨٠/١ ، وخسرو وريدك – النص البهلوى ص : ١٩ وما بعدها ، والطبرى : ١٠٠/٢ ، وتاريخ مختصر أفغانستان : ٢٣/١ ، وتاريخ أفغانستان جـ ١ ، ٢ صفحات مختلفة ، وتاريخ أفغانستان للأستاذ برسى سايكس صفحات مختلفة .

(٢) راجع : تاريخ أفغانستان بعد أزإسلام : ٦٨٠/١ ، وتاريخ أفغانستان جـ ١ ، ٢ صفحات مختلفة ، وخسرو وريدك النص البهلوى ص : ١٩ ، والطبرى : ١٠٠/٢ ، وديشتو أدياتو تاريخ – صفحات مختلفة ، وتاريخ مختصر أفغانستان : ٢٣/١ .

أول ملك من ملوك هذه الأسرة فى بلخ الجميلة فى آريانا الأفغانية ، ويشتاسپه = كشتاسپه ثانى ملك من ملوك هذه الأسرة البلخية . ومدينة بلخ أو مدينة بخدى كما كانت تسمى بهذا الاسم فى ذلك العصر ، كانت عاصمة للملوك باختر الآرية القديمة ، ومنهم ملوك الأسرة الأسپية = بنى الفرسان الملكية الباخترية البلخية التى آمن ملوكها بالزردشتية وبمؤسسها المصلح الآرى زردشت . ويقول المؤرخون وعلماء الحضارة الآرية وخبراؤها من أمثال وى وين دوسن مارتن وغيره من المستشرقين والشرقيين بأن الملك ويشتاسپه كان يحكم آريانا من عاصمته بلخ فى حوالى عام ١٠٠٠ ق م ، وكان معاصرا لنشأة الديانة الزردشتية الأوستية فى بلخ = بخدى الآرية الأفغانية . وكان ملكا مقتدرا قويا ذا صفات حميدة ، وكانت الشجاعة والإقدام والفروسية من أبرز صفاته ولشدة غرامه بالفروسية ، وقوة تمسكه بالطقوس الدينية كانت حياته موزعة بين الحروب الوطنية والمعارك القومية من ناحية ، وبين بناء المعابد الدينية والصوامع المذهبية فى جميع أنحاء آريانا الأفغانية من ناحية أخرى ، وعندما انتصر فى الحروب التى قام بها فى كل من سيستان وبست فى الجنوب الغربى من أفغانستان ، قام بتقديم قرابين ونذور وأضاحى كثيرة لربة الماء والجمال (أناهيتا = ناهيد = ناهد) فى بستوايرى على ساحل نهر هلمند إرضاء لها ، وتقربا إليها . كما قام ابن شقيقه بستوار بن لهراسپه ببناء مدينة بست فى هذا المكان المقدس الذى تم فيه تقديم القرابين والنذور والأضاحى الكثيرة إلى إلهة الجمال والماء أناهيتا . وكان ذلك بعد عام ١٠٠٠ ق م[١] .

وكانت بست تشتهر بكثرة العنب ، وكثرة بساتينه ، وجودته ، وكانت خمر بست فى العصر الساسانى[٢] من أحسن الخمور وأجودها وأشهرها ، كما كانت تشتهر بكثرة الفواكه المجففة ، والتمور ، والسدر ، وأزهار الريحان ، والأزهار الأخرى المتنوعة ، وكانت كذلك تشتهر بصناعة النسيج ، والصابون ، وكانت من المراكز التجارية الهامة بين الشرق والغرب ، وخاصة للتجارة بين آريانا = أفغانستان[٣] وبين بهارت = الهند . وقد تردد صدى

---

(١) راجع : مقدمة دقيقى نامه ، وتاريخ أفغانستان جـ ١ صفحات مختلفة .
(٢) عبد الحى حبيبى : تاريخ أفغانستان بعد أزإسلام ١ : ٦٨٠ - كابل - أفغانستان .
(٣) عبد الحى حبيبى : تاريخ مختصر أفغانستان : ١٠٦/١ .

بست وشهرتها التاريخية القديمة وخاصة فى العصرين الغزنوى والغورى ، كما تردد صدى سحر جمالها الطبيعى بكثرة فى أشعار كل من شاهنامة الفردوسى الشاعر الخراسانى العظيم[١]، والفرخى الشاعر السيستانى الشهير[٢]، والعنصرى الشاعر البلخى القدير[٣] ، وغيرهم من شعراء أفغانستان الخراسانية فى العصور الصفارية والسامانية والغزنوية والسلجوقية والغورية .

وبست بالإضافة إلى كونها بقعة مقدسة حيث كانت القبائل الآرية وعشائرها تقوم بتقديم الأضاحى والقرابين والذبائح والنذور الأخرى لآلهتها الباطلة بعد الانتصارات التى كانت تنالها فى حروبها فى هذه الأقاليم الأفغانية القديمة بالإضافة إلى ذلك فقد أصبح الإقليم كله ملجأ ومهدا ومأوى للديانة الزردشتية ، وذلك بعد أن استولت البوذية على أكثر الأقاليم والمناطق الأفغانية القديمة ، وعلى معابدها الدينية ومراكزها الاجتماعية والثقافية والسياسية فى أفغانستان القديمة فانكمشت الزردشتية واستقرت فى هذا الإقليم من أقاليم البلاد الأفغانية القديمة .

بست فى العصور الإسلامية :

تمهيد :

الفتوح الإسلامية فى الشمال الأفغانى[٤] :

القائد الإسلامى الأحنف بن قيس أول قائد عربى دخل أفغانستان ، وكان مكلفا بمطاردة الملك الساسانى يزدجرد الثالث فى خراسان ، وقد دخل الأحنف ابن قيس إلى خراسان الأفغانية لأول مرة فى عام ١٨ هـ = ٦٣٩ م ، أو فى ٢٢ هـ = ٦٤٢ م وقد تمكن من فتح هرات بعد معركة حامية وقعت بين الجانبين الإسلامى والأفغانى وبعد فتح هرات فى الغرب الأفغانى توجه القائد العربى إلى المناطق الشمالية الأفغانية .. أى إلى بلخ وغيرها من ولايات

---

(١) راجع : الشاهنامه للفردوسى – صفحات مختلفة . لشكرگاه لأحمد على كهزاد صفحات مختلفة .

(٢) راجع : ديوان أمير الشعراء الفرخى ، ولشكرگاه صفحات مختلفة .

(٣) راجع : ديوان ملك الشعراء العنصرى ، ولشكرگاه صفحات مختلفة .

(٤) راجع : أفغانستان بعد أزإسلام : ١٤٧/١ ، والطبرى : ٢٤٤/٣ ، وابن الأثير : ١٦/٣ .

أفغانستان لمطاردة يزدجرد من ناحية ولفتح تلك المناطق والأقاليم من ناحية أخرى ، وكان يريد العبور على نهر جيحون = آمو = اكسوس إلى ما وراء النهر ، حيث كان الملك الساسانى يزدجرد قد سبقه إلى هناك هاربا ، إلا أن الخليفة الإسلامى عمر بن الخطاب (رض) أمره بعدم عبور النهر[1] .

وفى عام ٣٢ هـ = ٦٥٢ م قام القائد الإسلامى قيس بن الهيثم بفتح كل من تخارستان = الطخار ، وتالقان = الطالقان ، وفارياب وهى من الولايات الشمالية الأفغانية ، كما قام القائد الإسلامى العربى عبد الله بن عامر بفتح كل من هرات وبادغيس وبوشنج وهى من الولايات الغربية الأفغانية ، وذلك فى عام ٣٢ هـ[2] = ٦٥٢ م أيضا .

هذا مجمل الفتوح الإسلامية الأولى فى الشمال والغرب الأفغانى كأول قدم يضعها المسلمون العرب فى الربوع الأفغانية لنشر الدعوة الإسلامية فى البلاد الأفغانية ، ثم تلتها الفتوح الإسلامية فى الجنوب الأفغانى ، وبدأت أول ما بدأت فى سيستان = سجستان = نيمروز اليوم[3] .

الفتوح الإسلامية فى الجنوب الأفغانى :

بدأت الفتوح الإسلامية تتسع وتتقدم رويدا رويدا حتى شملت أكثر المناطق فى أفغانستان الشمالية والغربية والجنوبية ، وقد شارك فيها عدد كبير من خيرة القواد المسلمين العرب فى الجيوش العربية الإسلامية ، وقد انصب اهتمامهم على الإقليم الذى ينقسم الآن إلى كل من سجستان = سيستان وبست نظرا لأهمية هذا الإقليم كقاعدة عسكرية لفتح الأقاليم والمناطق الممتدة حتى حدود السند والهند ، وقد تم للمسلمين ذلك فيما بعد ، ودخل الإسلام إلى البلاد الهندية

---

(١) الطبرى ٤ : ٧٨ - ٨٩ ، ١٦٦ - ١٧١ ، وفتوح البلدان ٤٨٦ وما بعدها ، وأفغانستان بعد أزإسلام ١ : ٦٨٠ ، وابن الأثير ٣ : ١٦ ، وآريانا دائرة المعارف ٣ : ٣١ مادة أفغانستان .

(٢) أفغانستان بعد أزإسلام ١ : ١١٢ ، وفتوح البلدان ٥٠٤ - ٥٠٥ ، والطبرى ٤ : ٣٠٩ .

(٣) الأدب العربى فى أفغانستان - رسالة الدكتوراه صفحات مختلفة ، وأفغانستان بعد أزإسلام ١ : ٢١٣ ، وأفغانستان : ٣٤ وما بعدها .

عن طريق أفغانستان قبل أن يقوم الفاتح العربى الإسلامى محمد بن القاسم بفتح السند .

سيستان وبست فى خلافة عمر بن الخطاب (رض) :

فى السنة الثالثة والعشرين من الهجرة النبوية الطاهرة (٦٤٣ م) وفى السنة الأخيرة من خلافة عمر بن الخطاب (رض) توجهت الجيوش الإسلامية العربية بقيادة كل من القائدين العربيين : عاصم بن عمرو التميمى ، وعبد الله ابن‌عمير إلى ولاية سيستان = سجستان = نيمروز ، وبعد محاصرة عاصمتها مدينة زرنج مدة من الوقت تم الصلح بين الجانبين على الخراج[1] ، وفك الحصار .

بست فى خلافة عثمان بن عفان (رض) :

وفى عام ٣٠ هـ = ٦٥٠ م وفى خلافة عثمان بن عفان (رض) امتنع أهل سيستان = سجستان = نيمروز عن أداء الخراج المتفق عليه فى معاهدة الصلح بين الطرفين ، فأرسل عبد الله بن عامر والى خراسان القائد الإسلامى مجاشع ابن مسعود السلمى إلى سيستان = سجستان إلا أنه لم يتمكن من السيطرة عليها لشدة مقاومة أهلها ، فاضطر إلى الانسحاب من سيستان وفى طريق انسحابه عن بست وزمينداور وسيستان إلى كرمان فوجئ بالبرد الشديد والثلج الكثير فاستشهد جنود الجيش الإسلامى بسبب الثلج الكثير والبرد الشديد . ثم أرسل الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) القائد العربى الربيع ابن زياد الحارثى لإعادة فتح سجستان مرة أخرى فقام بفتحها عنوة ، ومكث فيها لمدة سنتين ونصف سنة[2] وفى هذه المدة وصلت فتوحاته الإسلامية إلى نواحى بست ، وكان معه فى هذه الفتوحات وخلال تلك المدة العالم الإسلامى الكبير الحسن البصرى[3] (رح) وبعودة الربيع بن زياد الحارثى إلى دار

---

(١) الطبرى : ٢٥٦/٣، والكامل : ٢٢/٣ ، ومجمل فصيحى : ١٢٧/١ وأفغانستان بعد أزالام : ١٥٤/١ .

(٢) فتوح البلدان ص : ٤٨٥ ، وتاريخ مختصر أفغانستان للأستاذ عبد الحى حبيبى ص : ٨٩ – ٩١ – طبعة كابل أفغانستان سنة ١٣٤٦ هـ ش .

(٣) المرجعين السابقين .

الخلافة ، خرج أهل سيستان مرة أخرى عن طاعة الحكم الإسلامى العربى ، فأرسل عبد الله بن عامر والى خراسان بأمر الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) أرسل القائد الإسلامى القدير عبد الرحمن بن سمرة[1] لتأديب أهل سيستان = سجستان = نيمروز ، ولإعادة الأمور إلى مجاريها ، وبعد الوصول إلى العاصمة السيستانية زرنج ، وبعد القيام بعقد الصلح بينه وبين حاكم سيستان ، توجه إلى بست وقندهار وزمينداور وزابل لإعادة فتح هذه المناطق مرة أخرى .

بست فى خلافة على بن أبى طالب (رض) :

ولكنه بعد استشهاد عثمان بن عفان (رض) وعودة عبد الرحمن بن سمرة عن سيستان عين الخليفة على بن أبى طالب (رض) أمير بن أحمر اليشكرى واليا على نيمروز = سيستان = سجستان الأفغانية ولكنه لم يتمكن من السيطرة عليها فاضطر إلى الخروج عنها فى عام ٣٥ هـ[2] .

وفى عام ٣٥ هـ ٦٥٥ م مر عبد الرحمن بن سمرة والى سيستان على بست فاتخذها هو وعدد آخر من القواد العرب قاعدة لهم لغزواتهم فى كل من داور وزابل وكابل كما كانت ميدانا ومسرحا للمعارك الشرسة التى دارت فيما بعد بين المسلمين العرب والرتابلة الأفغان[3]

بست أيام الخلافة الأموية :

استمر الزمن فى سيره الزمنى إلى أن وصل الأمر إلى الخليفة الأموى معاوية ابن أبى سفيان (رضى الله تعالى عنه) فقام بتعيين عبد الرحمن بن سمرة واليا على سيستان مرة أخرى ، وذلك فى عام ٣٦ هـ = ٦٥٦ م ، وقد توجه ابن سمرة هذه المرة إلى نيمروز الأفغانية ، وبصحبته عدد من القواد العرب والعلماء

---

(١) فتوح البلدان ص : ٤٨٦ ، وتاريخ مختصر أفغانستان للأستاذ عبد الحى حبيبى ص : ٨٩ – ٩١ طبعة كابل – أفغانستان سنة ١٣٤٦ هـ ش .

(٢) فتوح البلدان ص : ٤٨٦ وتاريخ مختصر أفغانستان ص ٨٩ – ٩١ طبعة كابل ١٣٤٦ هـ ش .

(٣) أفغانستان بعد الإسلام : ١٥٤/١ – ١٦٤ .

المسلمين من بينهم القائد العربى عباد بن الحصين ، والعالم الإسلامى الحسن البصرى[1] ، وبعد إقامة قصيرة فى مدينة زرنج عاصمة نيمروز توجه إلى بست ومنها إلى زمينداور وقندهار وزابل وقام فى هذه الأثناء بمحاربة المرتدين عن الدين الإسلامى الحنيف من القبائل الأفغانية فى مختلف منازل الأفغان ، وبذلك قام أيضا بتطهير الطريق المؤدى إلى كابل عاصمة أفغانستان الحالية التى كانت عاصمة لملوك الأسرة الكابلشاهية المعروفة فى هذا الوقت ، وقد تمكن من فتح كابل بعد حصارها مدة من الوقت ، واستولى على غنائم كثيرة . وقد استشهد فى معارك فتح كابل الصحابى الجليل أبو رفاعة عبد الله بن حارث العدوى البصرى فى عام ٤٤ هـ = ٦٦٤ م ودفن فيها ، وقبره الشريف معروف لدى أهل كابل حتى الآن ، وكان رضى الله تعالى عنه قد شارك ابن سمرة فى جميع الحروب التى قام بها فى سيستان وبست وقندهار وزابل وكابل[2] .

وفى عام ٤٥ هـ = ٦٦٥ م عين البلاط الملكى الأموى زياد بن أبى سفيان واليا على خراسان وسيستان فقام هو بدوره فى سنة ٤٦ هـ = ٦٦٦ م بتعيين الربيع بن زياد الحارثى أميرا على سيستان[3] وقد قام الأخير بإصلاحات سياسية وإدارية وعلمية واقتصادية فى سيستان الأفغانية بتوجيهات وإرشادات من الحسن البصرى . كما قام بحروب ضارية مع الرتبيلشاهيين فى كل من بست وزمينداور وقندهار[4] .

وفى معركة عام ٧٤ هـ[5] = ٦٩٣ م بين عبد الله بن أمية وبين رتبيلشاه

---

(١) فتوح البلدان ص : ٤٨٨ وأفغانستان بعد أزإسلام : ١٦٠/١ وتاريخ سيستان ص : ٨٥ .

(٢) أفغانستان بعد أزإسلام : ١٦٠/١ والإصابة : ٦٧/٧ وتاريخ مختصر أفغانستان ص : ٩٤ - ٩٥ .

(٣) فتوح البلدان ص : ٤٨٤ وأفغانستان بعد أزإسلام : ١٦٧/١ وآريانا دائرة المعارف = دائرة المعارف الآرية - مادة أفغانستان : ٣٠٠/٣ وما بعدها ، طبعة كابل سنة ١٣٣٥ هـ ش = ١٩٥٦ م . وتاريخ مختصر أفغانستان ص ٩١ .

(٤) فتوح البلدان ص : ٤٨٤ وما بعدها . وأفغانستان ص : ٣٥ وما بعدها وتاريخ مختصر أفغانستان ص ٩٥ .

(٥) فتوح البلدان ص : ٤٩١ وأفغانستان ص : ٣٥ وما بعدها وتاريخ مختصر أفغانستان ص ٩٦ .

تم الصلح بينهما فى مدينة بست بمليون أو مليونين من الدراهم على أن يدفعها الجانب الأفغانى للجانب الإسلامى كل عام ، إلا أن رتبيلشاه لم يوف بشروط هذا الصلح .

وفى عام ٧٩ هـ[١] = ٦٩٨ م توفى عبيد الله بن أبى بكرة بمدينة بست الأفغانية وذلك بعد هزيمة لحقت به وبجيشه فى المعارك التى دارت بين الجيشين العربى والأفغانى الرتبيلى فى وادى زابل وكابل بالقرب من مدينة كابل العاصمة الأفغانية . ولما عاد عبيد الله بن أبى بكرة منهزما وصل إلى مدينة بست الأفغانية فى طريقه إلى سيستان مات فيها ، ودفن هناك فى بست .

وفى عام ٨٠ هـ[٢] = ٦٩٩ م عزم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على محاربة رتبيلشاه فلما عرف رتبيلشاه عزمه هذا عرض عليه الصلح ، ولكن عبد الرحمن لم يقبله ، وواصل سيره حتى وصل إلى بست وفيها اشتبكت القوات العربية والأفغانية فى معركة حامية غنمت فيها القوات العربية غنائم كثيرة ، ولكنها لم تتمكن من الانتصار العسكرى حيث واصلت قوات الطرفين الحروب فيما بعد فى كل من بست وزابل وكابل وفى النهاية انتصر الجيش الإسلامى العربى فى هذه الحروب التى كانت تدور رحاها فى الجنوب الغربى من أفغانستان إلى أن استولى على تلك المناطق حتى وصل إلى نواحى السند بالهند[٣] .

ومما ينبغى الإشارة إليه هنا هو أنه كان هناك خلاف بين كل من القائد العربى فى أفغانستان عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وبين الحجاج والى العراق فى ذلك الوقت[٤] ، ولكى يتخلص الحجاج من خصمه القوى ومنافسه الشديد عبد الرحمن هذا ، أمره بمواصلة حروبه داخل أفغانستان ،

---

(١) فتوح البلدان ص : ٤٩١ - ٤٩٢ والطبرى ٣٢٩/٦ . وآريانا دائرة المعارف : ٣٠٠/٣ وما بعدها وتاريخ مختصر أفغانستان ص : ٩٦ .

(٢) الطبرى ٣٢٦/٦ طبعة دار المعارف . وأفغانستان ص ٣٥ وما بعدها وتاريخ مختصر أفغانستان ص : ٩٦ .

(٣) راجع : يوهانذ عبد الحى حبيبى : ١/ صفحات مختلفة والطبرى صفحات عديدة وابن الأثير صفحات متعددة وفتوح البلدان - صفحات مختلفة وأفغانستان ص ٣٤ وما بعدها ولشكركاه .

(٤) الطبرى : ٦/ ٣٣٤ طبعة دار المعارف بمصر . وآريانا دائرة المعارف : ٣/ ٣٠٠ وما بعدها .

ولكن عبد الرحمن أظهر العصيان على الحجاج نظرا لصعوبة مواصلة تلك الحروب الضارية في ربوع أفغانستان الصعبة المرور ، فعاد لذلك إلى سيستان = سجستان = نيمروز الأفغانية ، وقام بتعيين عياض بن همیان البكرى واليا على بست فى سنة ٨١ هـ[١] = ٧٠٠ م وأعطى أمر زرنج عاصمة سيستان إلى عبد الله بن عامر التميمى ، وعقد الصلح مع رتبيلشاه[٢] .

وفى عام ٨٣ هـ - ٧٠٢ م لم يتمكن عبد الرحمن بن محمد من دخول مدينة زرنج العاصمة السيستانية فانصرف عنها حتى أتى مدينة بست الأفغانية وكان عليها عياض بن همیان أبو هشام بن عياض السدوسى من بكر بن وائل فاستقبله ولكنه أراد أن يقبض عليه ، إلا أن الملك الأفغانى رتبيل أحاط بمدينة بست وأنقذ عبد الرحمن من الموت المحقق[٣] .

وفى عام ٨٨ هـ = ٧٠٦ م أصدر والى العراق الحجاج أمرا بتعيين الأشهب ابن بشر الكلبى واليا على سيستان[٤] ، وبعد وصوله إليها ذهب إلى بست وقام هناك بمناقشة شروط الصلح مع رتبيلشاه ، وبعد هذه المحادثات والمناقشات والاتفاق ، قام بإرسال شروط الصلح بين الطرفين إلى الحجاج بالعراق ، فلم يوافق عليها الحجاج لقلة المبلغ المتفق عليه فى الصلح فعزل الأشهب الكلبى[٥] وسلم سيستان إلى قتيبة بن مسلم الباهلى والى خراسان ، وقد قام هو بدوره بتعيين شقيقه عمرو بن مسلم الباهلى واليا على سيستان الأفغانية ، وعندما وصل إلى سيستان أقام فى زرنج إقامة قصيرة سافر بعدها إلى بست[٦] ومن هناك أعلن الحرب على رتبيلشاه الذى كان يتمركز فى حوالى بست وقد تم الصلح

---

(١) الطبرى : ٦/ ٣٣٦ - ٣٩٦ دار المعارف بمصر . وأفغانستان ص : ٣٤ وما بعدها .

(٢) الطبرى : ٦/٣٣٦ - ٣٩٦ دار المعارف بمصر . وآريانا دائرة المعارف : ٣٠١/٣ وما بعدها وبختانه دتاريخ يه رناكى ص : ٢٩٩ وما بعدها طبعة پشاور سنة ١٩٦٥ م .

(٣) الطبرى : ٣٦٩/٦ .

(٤) فتوح البلدان ص ٤٩٢ - طبعة القاهرة . وأفغانستان بعد أزإسلام : ٢٠٧/١ وتاريخ سيستان ص ١٢٠ .

(٥) المراجع السابقة .

(٦) أفغانستان بعد أزإسلام : ٢٠٧/١ وتاريخ سيستان ص : ١٢٠ .

بينهما بثمانمائة ألف درهم فى السنة يقوم رتبيلشاه بدفعها إلى الجانب العربى ولكن الحجاج لم يوافق على هذا المبلغ أيضا لقلته فى نظره ، فأمر قتيبة بن مسلم الباهلى ليتوجه بنفسه لمحاربة رتبيلشاه فى بست فوصل إلى سيستان فى عام ٩٢ هـ = ٧١٠ م وصمم على محاربة رتبيلشاه ولما عرف رتبيلشاه ذلك عرض عليه الصلح بمليونى درهم فوافق عليه قتيبة[١] .

بست أيام الخلافة العباسية :

وفى سنة ١٠٨ هـ = ٧٢٦ م جاء أصفح بن عبد الله الكلبى إلى سيستان = سجستان حاكما أيام هشام بن عبد الملك ، وكان معه قائد جيشه محمد بن جحش ، فتوجه الجيش الإسلامى بقيادته إلى بست سنة ١٠٩ هـ = ٧٢٧ م وأعلن الحرب على رتبيل ، ولكنه لم يفلح فى حربه مع الملك الأفغانى رتبيل فى بست ، وقد استشهد عدد كبير من المسلمين . وأصيب القائد الإسلامى نفسه بجراح خطيرة ، فعاد إلى سيستان وتوفى هناك[٢] .

ثم استمرت أمور سيستان وبست بين أخذ ورد حتى عام ١٤٦ هـ = ٧٦٣ م وفى هذا العام عين خال المهدى يزيد بن منصور واليا على سيستان فوصلها فى العام نفسه ، وكان فى ولاية بست عصيان شديد وغضب عات كنتيجة طبيعية لقتل الزعيم أبى مسلم الخراسانى على يد الخليفة العباسى المنصور ، وكان يقود هذا العصيان شخص يدعى محمد بن شداد ، والتف من حوله جمع غفير من جماهير شعب بست ، ولما قويت شوكته حاول الاستيلاء على سيستان نفسها ، فقام فى وجهه خال المهدى يزيد بن منصور والى سيستان الجديد ، ووقعت معارك حامية بين الطرفين ، وانتهت بهزيمة يزيد بن منصور وقواته ، وفر هاربا إلى نيسابور[٣] .

---

(١) أفغانستان بعد أزإسلام : ٢٠٧/١ – ٢٠٨ . وتاريخ سيستان ص : ١٢٠ – ١٢١ . وفتوح البلدان ص : ٤٩٢ – ٤٩٣ . وبختانة دتاريخ پە رناكى ص : ٣٠٤ وما بعدها .

(٢) أفغانستان بعد أزإسلام : ٢١٠/١ وتاريخ اليعقوبى : ٣١٩/٢ .

(٣) يراجع أفغانستان بعد أزإسلام : ٢٠٦/١ وما بعدها . وبختانه دتاريخ پە رناكى ص : ٣٠٤ وما بعدها . وأفغانستان ص ٣٤ وما بعدها . ورهنماى أفغانستان ص : ٥٨ وما بعدها . وفتوح البلدان ص ٤٩٣ وما بعدها .

وبعد هزيمة يزيد بن منصور على يد محمد بن شداد البستى عين الخليفة العباسى المنصور معن بن زائدة الشيبانى واليا على سيستان ، فوصلها فى عام ١٥١ هـ = ٧٦٨ م ، فقد اتخذ مدينة بست مقر[١] قيادة لعملياته الحربية فى قندهار = رخد = رخج وغيرها من المناطق الأفغانية فى الجنوب ، وبعد أن اشترك فى إحدى معاركه فى قندهار مع الرتابلة الأفغان ، عاد إلى مسكنه الذى بنوه له فى مقره بمدينة بست ، وذات يوم وهو جالس فوق سطح قصره فى مجلس الخمر ، قام عدد من جماهير الشعب أو عدد من الخوارج فى بست بالهجوم على مقره ، وقتلوه ، بعد أن فتحو بطنه ، وقد تم دفنه فى بست يوم الخميس فى الثامن من ذى الحجة عام ١٥٢ هـ[٢] = ٧٦٩ م .

وكانت مدينة بست مقر قيادة – أيضا – للعمليات العسكرية التى قام بها الفضل بن سليمان الخراسانى فى قندهار عام ١٦٩هـ = ٧٨٥ م وذلك لأن رتبيلشاه كان قد اختار وادى قندهار لنشاطه المضاد بعد أن انهزم مرارا فى كل من سيستان وبست وزميناور وفى إحدى معارك الفضل بن سليمان الخراسانى فى قندهار مع رتبيلشاه وقع شقيقه أسيرا فى يد الفضل ، وقد قام بإرساله إلى بغداد أسيرا[٣] .

وفى عام ١٧٣ هـ = ٧٨٩ م وفى عصر الخليفة هارون الرشيد كان عثمان بن عمارة المزنى حاكما على سيستان = سجستان فأرسل ابنه صدقة على رأس جيشه إلى بست فاتخذها مقر قيادة لعملياته العسكرية الحربية التى قام بها لمحاربة الرخديين اليفتليين بين وديان هلمند وقندهار وسواحل أرغنداو ، وقد اختار عثمان ابن عمارة المزنى بست مركزا لعملياته الدفاعية ضدهم ليأمن شرهم مستقبلا[٤] .

وفى سنة ٢٩٨ هـ = ٩١٠ م كانت بين كل من أحمد بن إسماعيل بن أحمد

---

(١) تاريخ مختصر أفغانستان ص : ٩٩ – ١٠٠ .

(٢) أفغانستان بعد الإسلام : ٨٨٤/١ وتاريخ سيستان ص : ١٤٧ . والطبرى : ٤١/٨ وتاريخ مختصر أفغانستان ص : ١٠٠ .

(٣) أفغانستان بعد الإسلام ١ : ٣٣٤ ، والطبرى ٨ : ١٦٢ – ١٦٣ ، والكامل ٦ : ٣٠ .

(٤) أفغانستان بعد الإسلام ١ : ١٤٢ ، وتاريخ سيستان ١٥٢ .

ومحمد بن على بن الليث وقعة شديدة بناحية بست والرخج ، تمكن فيها أحمد بن إسماعيل من أسر محمد بن على بن الليث[1] .

وفى سنة ٢٩٩ هـ = ٩١١ قبض أحمد بن إسماعيل بن أحمد وهو فى بست على المعدل بن على بن الليث ، وعلى عياله وأرسلهم جميعا إلى هرات[2] .

بست ومكانتها أيام الدولة الغزنوية :

توالت العصور على بست بين ارتقاء ونزول ، وبين علو فى السياسة والعلوم والفنون ، وبين انخفاض فيها .. يوم لها ، ويوم عليها ، إلى أن تأسست الدولة الغزنوية فى أفغانستان المركزية فى غزنة العريقة ، ولنبدأ القصة من أولها ، ولكنها بإيجاز واختصار .. ففى السابع والعشرين من شهر شعبان سنة ٣٦٦ هـ = ٩٧٦ م تربع سبكتگين على عرش غزنة ، وبسرعة فائقة استولى على كثير من الولايات الأفغانية ، وتمكن من توحيدها ، كولايات غزنة وكابل وتخارستان وباميان وزميناور وغيرها ، وكانت بست يحكمها اثنان من الخوانين (الأمراء) المحليين ، وكانا يتنازعان على حكمها ، أحدهما طغان والآخر بايتوز فطلب طغان من سبكتگين أن يعاونه فى القضاء على خصمه بايتوز ففعل ، إلا أن طغان هذا لم يوف بوعوده مع سبكتگين ، فنشأت حرب بينهما كانت فيها نهاية طغان ، فهرب كل من طغان وخصمه بايتوز إلى كرمان ، ولم يفكرا أبدا فى العودة إلى بست مرة أخرى . ودخلت بست من هذا اليوم فى الحكم الغزنوى مباشرة .

كل هذا تم فى السنة الأولى من جلوس سبكتگين على عرش غزنة العريقة ، وفى هذه الحرب بين سبكتگين وبين كل من طغان وبايتوز وقع الأديب الفاضل والشاعر الشهير والكاتب القدير أبو الفتح على بن محمد البستى فى يد سبكتگين وأخذه معه إلى غزنة ، وعينه رئيسا لديوان الرسائل ، ولكنه لم يقبل هذا المنصب اعترافا منه بالجميل لولى نعمه بايتوز فأرسله إلى رخج .. إلى نواحى أرغنداو بالقرب من بست ، ليقرر هناك مستقبله .

---

(١) الطبرى ١٠ : ١٤٤ .

(٢) الطبرى ١٠ : ١٤٥ .

وبهذه العمليات الحربية الخاطفة التى قام بها سبكتكين فى هذا الجزء من أفغانستان أصبح العمود الفقرى الوسط من وادى هلمند وأرغنداو ومركزها بست جزءا من الدولة الغزنوية وأما الجزء الأسفل من هذا الوادى فكان حتى هذا الوقت فى أيدى الأمراء من بقايا الصفاريين فى سيستان .

وقصة تأسيس الدولة الغزنوية فى قلب أفغانستان طويلة ومتشعبة لا أريد الدخول فى تفاصيلها فى هذه المقالة .. فبالاختصار تولى السلطان محمود الغزنوى مسئولية الدولة الغزنوية فى عام ٣٨٨ هـ = ٩٩٨ م ، واستمر فى فتوحاته فى الشمال والغرب والشرق وفيما وراء النهر من بلاد الأفغان وفى فارس والبلاد الهندية حتى كون إمبراطورية غزنة العظيمة ، ومن أعماله العظيمة قيامه ببناء معسكر (ثكنات) للجيش السلطانى بجوار مدينة بست القديمة وبجانب قلعتها العتيقة فى حدود عام ٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ م أو ٤٩٤ هـ = ١١٠٠ م ، وكان هذا المعسكر الغزنوى من أبرز وأهم المعالم الأثرية التى تم كشفها فى الحفريات التاريخية فى أفغانستان ، وهذا المعسكر هو الذى قام السلطان مسعود بن محمود أثناء حكمه من ٤٢١ - ٤٣٢ هـ = ١٠٣٠ - ١٠٤٠ م بتوسيعات وزيادات كثيرة فيه ليتسع لجيشه وحاشيته وحجبه وبلاطه بصفة عامة[١] .

مكانة بست ولشكرى بإزار[٢] :

بست مدينة قديمة عريقة كما عرفنا فيما مضى ، أما لشكرى بإزار[٣] = المعكسر فإنه ضاحية جديدة أحدثها السلطان محمود ووسع فيها السلطان مسعود ، وتقدر المسافة بين مدينة بست القديمة وبين المعسكر بسبعة كيلو مترات ، وفى هذه المسافة تنتشر الآن وتتناثر قرى صغيرة يسكنها قوم من الأفغان ، وقبور وأضرحة العلماء والأمراء والأدباء والأعيان تمثل مرحلة من أهم

---

(١) خليل الله خليلى : سلطنت غزنويان - صفحات مختلفة ، والأستاذ أحمد على كهزاد لشكرگاه - صفحات مختلفة ، والأستاذ عبد الحى حبيبى : أفغانستان بعد الإسلام - صفحات مختلفة. والمقدسى: أحسن التقاسيم - صفحات مختلفة .

(٢) المراجع السابقة .

(٣) لشكرى بإزار : السوق العسكرى ، أو السوق الخاصة بالجند .

مراحل التاريخ الأفغانى فى العصرين الغزنوى والغورى ، فهما إذا مدينة واحدة تتكون من جزئين .. القديم والحديث .. المعسكر الذى يقع فى الزاوية القائمة عند ملتقى نهر أرغنداو ونهر هلمند ، فالجزء الأول كان مسكنا لجماهير الشعب ، والثانى كان خاصا بالجيش ، والجزآن .. القديم والحديث يقعان على امتداد واحد .. على ساحل نهر هلمند ، ومن ورائهما صحراء لكان .

فالقصور الملكية السلطانية والميادين والساحات والثكنات العسكرية وميادين تدريب الجند من أفراد الجيش السلطانى الغزنوى تمتد مسافات طويلة واسعة على طول الشاطئ الشرقى لنهر هلمند ، حتى بعد أن يصل الزائر إلى أقصى الطرف الجنوبى فإنه لم يصل بعد إلى نهاية المطاف فأمامه ثمانية أو تسعة أميال حتى يصل إلى قلعة بست التاريخية المنيعة التى تشرف على ملتقى نهرى هلمند وأرغنداو ، وبالإضافة إلى ذلك كله فإن المثلث القائم بين النهرين قبل ملتقاهما ملىءومزدهر بالقصور والدور والقلاع القديمة .

وكان فى لشكرى بازار = المعسكر أى فى الجزء الحديث من مدينة بست القديمة دور للدواوين الحكومية والمكاتب الأميرية ولمكاتب الوزراء والسفراء ورجال البلاط الغزنوى ، ودار لديوان الإنشاء ، وكان فى الجزء القديم من مدينة بست الساحلية التاريخية القديمة برج تاريخى يرتفع عاليا على قلعتها الشهيرة التى لم يكن لها مثيل فى العالم كما يقول المؤرخ الأفغانى الجوزجانى ، كما كانت هناك أبراج كثيرة أخرى تمتد على طول ساحلها وذلك لتربية الحمام ، حيث كانت القصور الملكية السلطانية فى أفغانستان تشتهر بلعب الحمام أثناء الاحتفالات الرسمية والوطنية ، تشهد بذلك الآثار التاريخية والأدبية ، والقصائد الشعرية الخاصة بهذا العصر .

كان سلاطين غزنة وبالأخص محمود وابنه مسعود ، كانوا يتركون موقتا قلب أفغانستان أى مدينة غزنة ويتوجهون إلى بست لأسباب سياسية وغير سياسية ، ويقضون أياما وأسابيع وشهورا فى القصور السلطانية بصحراء لكان أعنى فى قصور معسكر بست وقد ذكر كل من الشاعرين الأفغانيين الفرخى والعنصرى والمؤرخ البيهقى أيام كل من السلطانين محمود ومسعود فى مدينة بست وقصرها

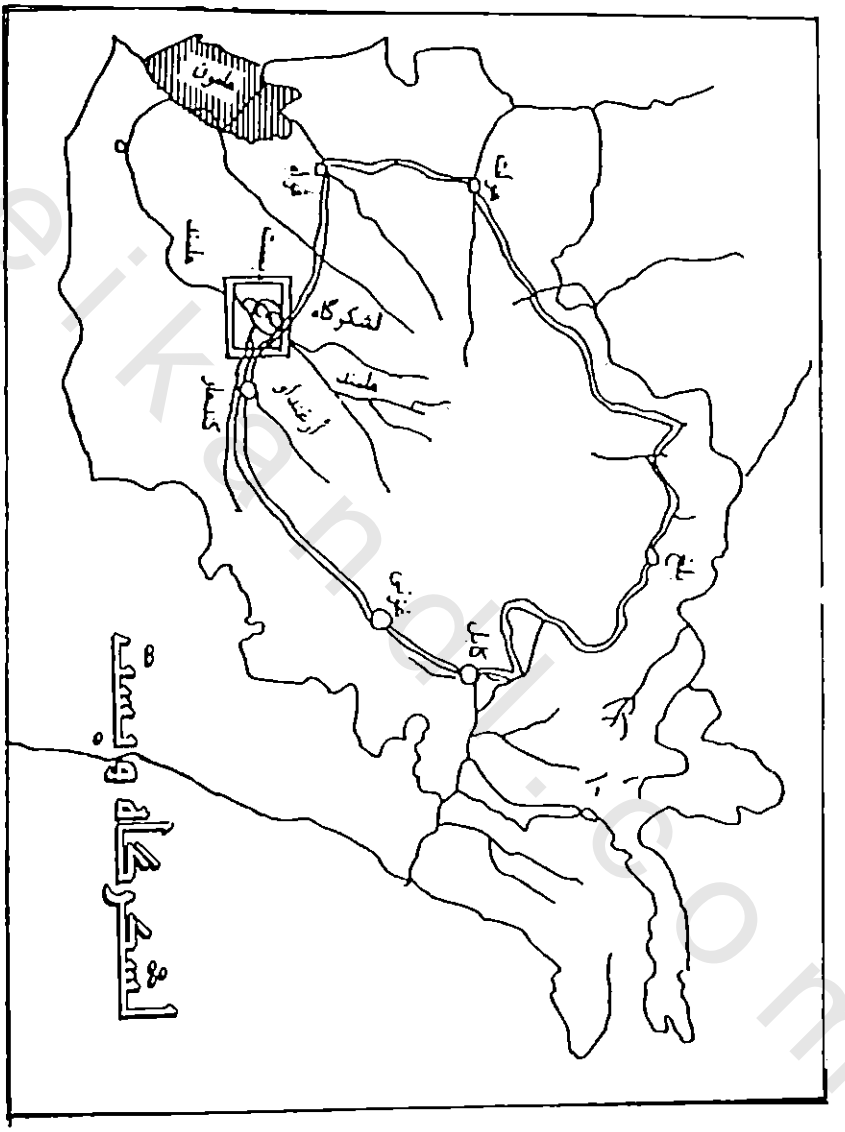
لشکرگاہ و بستی

السلطانى الذى يشتهر بقصر صحراء لكان ، وفى هذا المكان يتعانق القديم والحديث اليوم فى حرارة ومودة أخوية ، فالقديم هو لشكرى بازار = المعسكر ومدينة بست القديمة ، والحديث هو المدينة الصناعية التى أقامتها هيئة إصلاح وادى هلمند التى تأسست أصلا لإعادة هذا الوادى إلى ما كانت عليه فى الزمن الماضى من نماء وإنتاج وعمران أيام الغزنويين والغوريين وقبلهم ، حيث كان يمون السلطان الغزنوى وحاشية بلاطه وجيشه طوال ستة شهور كل عام . ويزيد الإنسان إعجابا بأن يرى منظر القديم يقترن بالحديث . وقديما كان الأفغانيون يعمدون إلى ملاحظة الطبيعة الرائعة كلما حاولوا إخضاعها لمنفعتهم ، بدلا من أن يرغموها بالقوة على تنفيذ مطالبهم ، وهذا ما حصل فى إخضاع هذا الوادى وأنهاره ، فقد قنع الراعى الأفغانى بالتنقل وراء الطبيعة من نبع إلى نبع ، ومن مرعى إلى مرعى حاملا معه أهله وأمتعته وقطعانه فى الوادى الفسيح الممتد بين سيستان وبست وأرغنداو وقندهار وغزنة وهرات ، إنه يسير فى ركاب الطبيعة بدلا من أن يتوقع من الطبيعة أن تقدم عليه ، ولكن الطبيعة فى بست قد بدأت تقبل على الراعى الأفغانى فى العصر الحديث محتضنة القديم الماضى التليد والحديث المتطور .

بست ومكانتها أيام الدولة الغورية :

إن مدينة بست كغيرها من مدن أفغانستان القديمة عامة ومدن وادى هلمند الخصيب خاصة صادفت فى تاريخها الطويل أحداثا كانت سببا من أسباب تقدمها وازدهارها وعمرانها ، وأحداثا أخرى كانت سببا من أسباب تأخرها وتدميرها وتخريبها ومدينة بست بواديها الجميل قد ذاقت أمرين أثناء الهجوم التيمورى المدمر ، وفى خلال الحريقين الذين حدثا أيام الدولة الغورية .

أحداث بست المؤلمة :

قلنا فيما مضى من الصفحات التاريخية أن الدولة الغزنوية قد تأسست فى أفغانستان عام ٣٦٦ هـ = ٩٧٦ م وازدهرت مدنها ومدنيتها وحضارتها الإسلامية بسرعة البرق فى كل من أفغانستان وفى الدول المجاورة لها فى الشرق والغرب والشمال والجنوب وذلك من خلال الدول والحكومات الغزنوية المختلفة أيام كل من

سبكتكين ومحمود ومسعود وغيرهم من السلاطين الغزنويين وكانت بست قد فتحت أيام سبكتكين وتأسس معسكرها أيام السلطان محمود الغزنوى ليكون مركز قيادة لعملياته العسكرية وأعماله السياسية والإدارية فى كل من بست وسيستان = سجستان ، وقد تردد السلطان محمود على بست بين السنوات : ٣٩٠ - ٣٩٤ هـ = ٩٩٩ - ١٠٠٣ م للإقامة فى بست وفى قصورها موقتا ، واتخاذه لها مركز قيادة لعملياته العسكرية والإدارية والسياسية فى المناطقة المحيطة بها ، وخاصة فى سيستان الأفغانية ، كذلك كان السلطان مسعود بن محمود الزابلى من عشاق بست ، وكان يتردد عليها ويقيم فيها كثيرا ، وخاصة أثناء رحلاته وأسفاره الكثيرة فى المناطق والأقاليم الغربية من سلطنته وإمبراطوريته الواسعة ، كما قام بزيادات وتوسيعات وتحسينات وإصلاحات كثيرة فى مدينة بست ، وفى معسكرها وبساتينها وقصورها وحماماتها بين السنوات ٤٢١ - ٤٣٢ هـ = ١٠٣٠ - ١٠٤٠ م .

هكذا كان السلاطين الغزنويون والمسئولون فى الدولة الغزنوية يهتمون اهتماما بالغا بعاصمتهم الشتوية ، ولكن حدث أيام الدولة الغورية ما لم يكن فى الحسبان ، وذلك بعد أن انتصر الغوريون على الغزنويين فى الحروب التى دارت بينهم فوق الأرض الأفغانية ، وأصبحت بست كبش فداء فى تلك الحروب المدمرة .

الحريق الأول :

وفى أحداث سنة ٥٤٥ هـ انتصر الغوريون الأفغان على الغزنويين فى المعارك التى دارت بين الطرفين فى غزنة وفى المناطق المحيطة بها ، وذلك فى أيام السلطان فرخزاد بن مسعود بن محمود الغزنوى الزابلى ، وفى أثناء المعارك الفاصلة الحامية الشديدة المؤسفة قام الجيش الغورى الأفغانى بقيادة السلطان علاء الدين الغورى بإشعال النيران فى مدينة غزنة ثم فى مدينة بست وأحرقهما انتقاما لإخوته الذين قتلهم الغزنويون ، بعد أن أخرجوا عيونهم وهم أحياء ، قام الجيش الغورى بإحراق غزنة ثم توجه بقيادة السلطان علاء الدين الغورى نفسه إلى مدينة بست التاريخية ، وقام بإحراق القصور الغزنوية فيها أسوة بالقصور الغزنوية فى غزنة ، وتقدر المدة الفاصلة بين الحريقين التاريخيين بمدة شهر تقريبا . وهكذا قام الحقد

والانتقام بإحراق القصور الغزنوية فى كل من غزنة وبست وتدميرها وتخريبها بعد أن كانتا من أهم وأجمل المدن الأفغانية فى هذا العصر . وكان ذلك فى عام ٥٤٥ هـ = ١١٥٠ م وبأمر من السلطان علاء الدين الغورى .

عودة الحياة إلى بست على أيدى الغوريين :

ولم تمض مدة طويلة حتى قام خلفاء السلطان علاء الدين الغورى من الملوك الأفغان ببناء وترميم المدينتين الأفغانيتين غزنة وبست من جديد ، وذلك بعد أن امتد نفوذ الدولة الغورية إلى هذه المناطق ، وتمكنت من الاستيلاء على كل من غزنة وبست وسيستان وقد استمرت الحياة العادية فى تلك المدن الأفغانية بعد هذه الأحداث المؤلمة . ويقول المؤرخون بأن الحياة العادية فى مدينة بست كانت مستمرة حتى عام ٣٩٥ هـ = ١١٩٨ م والحقيقة أن الحياة العادية لم تنقطع فيها أبدا حتى اليوم . والدليل على استمرار الحياة العادية والعلمية فى مدينة بست هو العثور على لوحتين تاريخيتين ، وهما لقبرين موجودين بين كل من بست ولشكرى بازار = المعسكر ...

فاللوحة الأولى تقول : هذه روضة مولانا الصدر الإمام ، أقضى القضاة ، العميد الأجل ، العالم النحرير ، نجم الدين ، عمدة الإسلام والمسلمين ، واعظ الملوك والسلاطين ، أخطب الخطباء ، معين الخلافة ، مقر الشرف والعز أبو الفقير (الفناذك ؟) محمد بن أبو المعالى بن محمد الحسن ، نور الله مضجعه ، توفى يوم الجمعة من غرة شهر الربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة .

واللوحة الثانية تقول : هذا القبر الصدر (؟) الإمام الأجل عز الدين ، جلال الإسلام ، أبى شعبة مسعود بن الصدر الأمير الإمام الأجل جلال الدين إسماعيل بن محمد غفر الله له . بتاريخ ٢٧ شعبان سنة ٦١١ هـ .

وهذا دليل قاطع على أن الحياة العلمية إلى جانب الحياة العادية كانت مستمرة فى بست حتى القرن السابع الهجرى ، ولم يؤثر فيها الحريق الذى حدث بعمل الغوريين الأفغان تأثيرا مدمرا كما فعل المغول بها ، ومن بعدهم التيموريون .

الحريق الثانى فى مدينة بست :

كذلك تعرضت مدينة بست لحريق آخر إما فى عام ٦١١ هـ= ١٢١٤م

على يد ملوك خوارزم وإما فى عام ٦١٦ هـ = ١٢١٩ م على يد المغول . ولم يتمكن علماء الأفغانيات الآريات من تحديد تاريخ هذا الحريق تحديدا دقيقا كما لم يتمكنوا من معرفة الشخص الذى قام بإشعاله فيها .

بست الأفغانية وآثار الهجوم التيمورى المدمر :

فى عام ٧٨٤ هـ كان وادى هلمند ببسته ونيمروزه وسيستانه من أخصب المناطق الأفغانية وأحسنها منظرا وأجملها رونقا ، وكانت كل من مدينتى بست فى الشرق ، وزرنج فى الغرب – من هذا الوادى – من أهم المراكز العلمية والأدبية والحضارية والعسكرية والتجارية والسكانية والاجتماعية فى هذا الوقت ، هذا الوادى الجميل الخصيب الناضر أصبح هباء منثورا بفعل الهجوم الوحشى الذى قام به تيمورلنك وشنه على هذا الوادى ومدنها فى عام ٧٨٤ هـ وقد حاول جيش تيمورلنك الوحشى بقيادته القضاء على هذا الوادى بشتى الطرق وأعمال التدمير والتخريب ولكنه عجز ، ولم يستطع القضاء عليه بقوة السلاح ، فالتجأ إلى تدمير السدود المقامة لريه وهدم الأنهار الخاصة به ، وتخريب القنوات التى كانت تروى الأراضى الزراعية فى هذا الوادى الجميل بشرقيه وغربيه ، فانقطعت بذلك المياه أولا ، ثم انقطعت الحياة فيه ثانيا بانقطاع المياه عن الإنسان وعن الحيوان ، وعن الأرض ، وعن النبات مطلقا . ولم يكتف الجيش التيمورى الوحشى بتدمير بست وزرنج ووادى هلمند وسيستان بل تجاوز الأمر إلى المناطق المجاورة .. مثل هرات وفراه وزمينداور وقندهار وأرغنداو وغيرها من المناطق الأفغانية فى هذا الجزء من أفغانستان الخراسانية .

والآثار التاريخية الموجودة الآن بين فراه وجغانسور تدل دلالة قاطعة على خصوبة وعمران هذا الوادى العظيم .. وادى هلمند .. وتشاهد على مسافة ٢٠٠ كيلو متر آثار جدران القصور وآثار المدن والقرى والقلاع والمبانى والحمامات والعاديات العتيقة التى دمرت خلال الغارات الوحشية التى قامت بها الجيوش المغولية المعتدية ، ثم الجيوش التيمورية المدمرة التى قضت على الحياة والنشاط